

حجابه الحُكام الأمويين بالأندلس
في الاحتفالات الرسمية والمناسبات والأعياد
(138-422هـ)/(756-1031م)

د. وهراني قدور

جامعة تلمسان

البريد الإلكتروني : histoire_maghreb@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2017/02/12

تاريخ الاستلام: 2016/11/10

الملخص:

نظرا لما وصلت إليه الدولة الأموية في الأندلس من أبهة وفخامة فقد أعطي لحجابه الحاكم أهمية كبيرة، في الاحتفالات الرسمية والمناسبات الدينية والأعياد وأثناء استقبال وتوديع الجيوش، وكذا تقديم البيعة للحاكم الجديد، دعت إلى تكليف أهم رجال الدولة مؤقتاً واستثناء بمهمة حجب الخليفة أثناء دخول الزوار والمُهنئين. وقد كانت هذه المجالسُ تتطلبُ ترتيباً خاصاً، حسب مكانة ومرتبة كل شخص.

الكلمات الدالة:

الدولة الأموية، الأندلس، الحجابة، مراسيم، احتفالات الوزراء.

العنوان بالإنجليزية:

The Hijaba of the Umayyad rulers in Andalusia The Umayyad state, Andalusia,
the ministers

.Abstract:

Due to the splendor and luxury attained by the Umayyad state in al-Andalus, the practice of concealing the ruler behind screens was considered to be of great importance in official celebrations, religious ceremonies, and during the reception and sending-off of armies. When the oath of allegiance was given to a new ruler, the most important men of state were temporarily given the task of shielding the caliph

behind curtains during the entry of visitors and well-wishers. These sessions required a special arrangement as each person had his assigned place.

Key words:

Umayyad State, Andalus, al-Hijaba, Ceremonies, Celebrations, Ministers

وصلت الدولة الأموية في عهد الخلافة إلى مستوى من القوة والعظمة فاق ما كانت عليه باقي الدول المعاصرة لها، ونتيجة لذلك سعى حُكام هذه الدول لكسب ودّها وصادقتها، «وبعثوا الوفود إلى قرطبة طالبين العون ومُلتَمِسين الصداقة ومقدمين الطاعة والولاء»⁽¹⁾. حيث يقول المقرئ: «كان مُلك الناصر بالأندلس في غاية الضخامة ورفعة الشأن، وهادنته الروم، وازدلفت إليه تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر، ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والإفرنجة والمجوس وسائر الأمم إلا وفدت عليه خاضعة راغبة، وانصرفت عنه راضية»⁽²⁾.

وقد دعت ضرورة ازدهار قصر الخليفة بالوفود، إلى تكليف أهم رجال الدولة مؤقّتا واستثناء بمهمة حجب الخليفة أثناء دخول الزوار والمُهنّئين. خاصة إذا كان الخليفة قد جُمّد منصب الحاجب خلال هذه الفترة. كانت هذه المجالس تُتطلّب ترتيباً خاصاً، فقد وصفه «ابن خلدون» حين يتحدث عن استقبال وفد القسطنطينية قائلاً: «وُزِن القصر الخلافي بأنواع الزينة وأصناف السُتور، وجُيّل السُرير الخلافي بمقاعد الأبناء والإخوة والأعمام والقراية، ورتّب الوزراء وأهل الخدمة في مواقفهم، ودخل الرُسل فهاهم ما رأوا وقربوا حتى أدّوا رسالتهم»⁽³⁾.

تختلف الأمور عندما تتعلّق بحجابه الخليفة «عبد الرحمن الناصر» أثناء استقبال الوفود بعد سنة (320هـ/932م) أي بعد وفاة الحاجب «موسى بن حدير»⁽⁴⁾، وكذلك بعد وفاة «جعفر بن عبد الرحمن»⁽⁵⁾ الحاجب في عهد «الحكم المستنصر»، فقد عرف موكب الاستقبال ترتيباً جديداً. ويتحدث «المقرئ» عن إحدى صور هذا الاستقبال قائلاً: «ورحل الناصر لدين الله من قصر «الزهراء» إلى قصر «قرطبة» لدخول وفود الروم عليه، فقعد لهم يوم السبت لإحدى عشر ليلة خلت من ربيع الأول من سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة في بهو المجلس الزاهر قعوداً حسناً نبيلاً، وقعد عن يمينه ولي العهد من بنيهِ «الحكم» ثم «عبيد الله» ثم «عبد العزيز أبو الأصبع» ثم «مروان»، وقعد عن يساره «المنذر» ثم «عبد

الجبار"، ثم "سليمان"، وحضر الوزراء على مراتبهم يميناً وشمالاً، ووقف الحجاب من أهل الخدمة من أبناء الوزراء والموالي والوكلاء وغيرهم، فوصل رُسل ملك الروم حائرين مما رأوه من بهجة الملك، وفخامة السلطان، ودفعوا كتاب ملكهم صاحب القسطنطينية⁽⁶⁾. ويبدو أن الناصر كان يفضل استقبال وفود الدول الأجنبية بقصر "قرطبة" بدل "الزهراء"، وكان يُقدّم لحجابه ولي عهده "الحكم"، ثم باقي أبنائه، رغم أنه كان قد أمرهم في وقت سابق بالخروج من قصر الخلافة، والإقامة وسط مدينة "قرطبة"⁽⁷⁾، وكان موقع الوزراء وأهل الخدمة موزعاً على جانبي المجلس على التوازي يميناً وشمالاً. أما في خلافة "الحكم المستنصر" فقد اختلف موكب الاستقبال عما كان عليه زمن أبيه، ويصف "ابن حيان" هيئة جلوس هذا الخليفة وحجابه قائلاً: «فلما كان شهر رمضان من سنة (360هـ/971م) قعد الخليفة الحكم على السرير قعوداً فخماً كامل الترتيب كأفخم ما جرت به العادة، وقعد الوزراء على مراتبهم، وحجبه منهم عن ذات اليمين الوزير القائد "غالب بن عبد الرحمن"، وتحت الوزير صاحب الحشم "قاسم بن محمد بن طملى"، ومن ذات اليسار الوزير صاحب المدينة بقرطبة "جعفر بن عثمان" وتحت صاحب المدينة بالزهراء "محمد بن أفلح"، فتقدم الرُسل وبين أيديهم هدية "بريل بن شنير"⁽⁸⁾ حاكم برشلونة⁽⁹⁾ إلى "الحكم المستنصر".⁽¹⁰⁾

ويتضح جلياً الاختلاف الموجود بين حجابه الخليفة "الناصر" وحجابه "الحكم" أثناء استقبال الوفود الأجنبية، فقد أعطى الأول الأولوية لأبنائه في الحجابه، ووزع الوزراء على جانبيه، أما الثاني فقد قدّم الوزراء على غيرهم، فقد حجبه الوزير "غالب بن عبد الرحمن" قائد الجيش على يمينه، وحجبه الوزير "جعفر بن عثمان المصحفي" أهم رجل في الدولة على يساره.

أما إذا تعدّد وصول الوفود الأجنبية إلى قرطبة فيُقدّم سفراء الدول الإسلامية على غيرهم، ويُقدّم كذلك سُفراء الدول التي كان للأمويين مصلحة معهم قبل الدول التي تبتغي فقط المودة». وفي يوم الثلاثاء لثمان بقين من ذي الحجة من سنة (362هـ/973م) قعد أمير المؤمنين على السرير بقصر "الزهراء" قعوداً فخماً حافلاً تام الترتيب حسن التهذيب لرسول وفود اكتملوا ببابه شهده الوزراء وحجبه الحجاب، وقُدِم المسلمون في الإذن على غيرهم من رسل النصارى فكان أول من توصل منهم رسل "أبي العافية"⁽¹¹⁾، ثم باقي رسل العدو، ثم أذن بعدهم لرسول ملوك العجم فتوصل رسل بنبلوته، ثم باقي

رسل النصارى»⁽¹²⁾ . أما في الاحتفالات الرسمية بعيدي الفطر والأضحى فقد اختلف الأمر، «ففي سنة (360هـ/971م) قعد الخليفة الحكم «المستنصر بالله»، بعد انقضاء صلاة عيد الفطر، لتسليم الجند عليه، في محراب المجلس الشرقي، في مدينة «الزهراء»، قعوداً فخماً شهده طبقات الناس فكان صدر المجلس الإخوة وجناباته الوزراء، وتوسطته أهل المراتب من طبقات أهل الخدمة، وسائر لوجود الموالي وبياض رجال «قرطبة»؛ فقعد الإخوة عن ذات اليمين على الترتيب التالي: الشقيق «أبو الأصبع عبد العزيز» وتحت «أبو المطرف» وعن ذات اليسار الأصبع «أبو القاسم»، وقعد الوزراء بعدهم في الجهتين بعد فرجتين على حد جري العادة؛ وحجب الخليفة يومه عن يمينه الوزير صاحب المدينة بقرطبة «جعفر بن عثمان» وتحت صاحب المدينة بالزهراء «محمد بن الأفلح» مولاه، وعن يساره الوزير صاحب الحشم «محمد بن قاسم بن طلمس»، وتحت صاحب الخيل «زياد بن أفلح»، وتلاههم أصحاب الشرطة العليا والوسطى، وسائر طبقات أهل الخدمة على منازلهم»⁽¹³⁾ .

وفي سنة (361هـ/972م) «قعد الخليفة المستنصر صر للتهنئة بمناسبة عيد الفطر على العادة فوق السرير في المجلس الشرقي في السطح العلي، وقامت المراتب والتهنئات والتعبئات في نهاية التمام وجودة النظام، وشهد الإخوة المجلس، وقعد منهم عن ذات اليمين كبيرهم أبو الأصبع، وقعد عن اليسار «أبو القاسم الأصبع»، وقعد الوزراء بأثرهم بعد فرجة، وحجب الخليفة عن يمينه صاحب المدينة بقرطبة «جعفر بن عثمان المصحفي» وتحت الوزير صاحب الشرطة العليا «محمد بن سعد» وتحت صاحب الشرطة الوسطى «محمد بن أبي عامر»، فانتظم الصفان بعدهم من طبقات أهل الخدمة على مراتبهم»⁽¹⁴⁾ .

وكان الفاصل بين الإخوة والوزراء فرجة تميز بين مرتبة الإخوة ومرتبة الوزراء، ويُلاحظ الاختلاف الموجود بين مراسيم استقبال الوفود والسفارات الأجنبية ومراسيم الاحتفال بالأعياد في عهد «الحكم المستنصر»، فقد كان الإخوة في مرتبة أعلى من مرتبة الوزراء؛ وحجب الخليفة كالعادة عن يمينه «جعفر بن عثمان المصحفي» أهم رجل في الدولة آنذاك .

وفي عيد الأضحى من نفس السنة قعد الخليفة «المستنصر بالله» على سرير للتهنئة على العادة، وقعد على مراتبهم المهنتون على مراتبهم، فبعد قعود الإخوة ذات اليمين وذات اليسار، قعد الوزراء

على مراتبهم، وحجبه عن ذات اليمين صاحب المدينة بقرطبة "جعفر بن عثمان"، وتحتة صاحب الشرطة العليا "محمد بن سعد"، وحجبه عن ذات اليسار صاحب مدينة الزهراء "محمد بن أفلح" وتحتة صاحب الخيل "زياد بن أفلح"، وتقدمت طبقات أهل الخدمة على مراتبهم بحسب منازلهم للتهنئة، ووصل صفيهم المرسومين بمدما، من أكابر الفتيان الصقالبة ومن دونهم من طبقاتهم من الجند ما بين ممرات القصر وأفنيته إلى باب السدة، ثم أطرّد الإذن بالوصول إلى من حضر من أفناء الناس، فتقدمت في أوائلهم رجالات قريش ثم الموالي ثم الحكام وقضاة الكور، ثم الفقهاء وأهل الشورى، وغيرهم والعدول ثم صنوف الحشود والوفود، وظل الخطباء والشعراء خلال ذلك يرتجلون وينشدون» (15).

وفي عيد الفطر من سنة (362هـ/973م) قعد أمير المؤمنين على سرير الملك وأذن للناس فتوصل أولهم الإخوة وقضوا حقّ التسليم والتهنئة، ثم قعدوا عن ذات اليمين وعن ذات اليسار ثم قعد الوزراء بعد التسليم على مراتبهم بأثر الإخوة، ووقف على جانبي السرير من اليمين وعن ذات اليسار الفتيان الصقالبة، وكان الحاجب عن ذات اليمين الوزير الكاتب صاحب المدينة بقرطبة "جعفر بن عثمان"، وتحتة صاحب الشرطة العليا والحشم، ثم صاحب الشرطة الوسطى والمواريث قاضي "إشبيلية"، والحجاب عن ذات اليسار صاحب الخيل والحشم "زياد بن الأفلح"، وحجبه بعد فرجة طبقات أهل الخدمة على مراتبهم، فلما استقرت هذه المراتب بالقوم، وانتهت حدود كمالها أذن لطبقات قريش الأقرب فالأقرب، فتقدموا للسلام ثم توصل الموالي، ثم حكام وقضاة الكور، وأهل الشورى وطبقات العلماء والعدول وبياض أهل قرطبة، ثم قبائل البربر من أهل العدو، ثم طبقات أهل الجند على مراتبهم من الأحرار، والعبيد، فكان يوماً حافل الجمع رفيع القدر جداً» (16).

ويتّضح من خلال النص الأخير ترتيب الدخول على الخليفة للتهنئة فقد كان الإذن أولاً للإخوة ثم الوزراء فسائر طبقات أهل الخدمة، فيجلسون إلى جانب الخليفة في تقليد معروف، ثم تدخل قريش على طبقاتها، فالموالي وولاة وقضاة الكور، فالعلماء « ويجلسون في مكان مخصص لهم خارج المجلس الخلفي» (17)، ثم بياض أهل قرطبة، ثم أهل العدو من البربر، وأخيراً يدخل الجند للتسليم على الخليفة على مراتبهم .

ويبدو أن حجابة الخليفة "الحكم المستنصر" عن يمينه يعتبر شرفاً، فقد كان يتولاه دائماً أهم رجل في الدولة، وهو القائد "غالب بن عبد الرحمن"، وينوب عنه إذا غاب الوزير صاحب المدينة "جعفر بن عثمان المصحفي"، أما حجابته عن ذات اليسار فيتولاها ثاني رجل في الدولة، فقد جلس الخليفة لاستقبال وفود زعماء العدو الخاضعين، فحجبه عن ذات اليمين الوزير القائد "غالب بن عبد الرحمن" وتحت "زياد بن أفلح" صاحب الحشم، وعن ذات اليسار الوزير الكاتب صاحب المدينة "جعفر بن عثمان المصحفي" وتحت صاحب المدينة بالزهراء "محمد بن أفلح". (18)

وبذلك نستنتج أن ضرورة ازدحام القصر الخلفي بالوفود دعت إلى تكليف أهم رجال الدولة مؤقتاً واستثناءً بمهمة حجب الخليفة أثناء دخول الزوار والمُهنئين. وقد كانت هذه المجالسُ تتطلب ترتيباً خاصاً، حسب مكانة ومرتبة كل شخص، والأمر نفسه كان يتكرر في الاحتفالات واستقبال السفراء والضيوف الأجانب والجيوش المنتصرة.

قائمة المصادر:

- ✓ ابن الأبار، أبو عبيد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ، الحلة السرياء. تحقيق: حسين مؤنس. القاهرة: دار المعارف. ط2، 1985. ج2، ص233.
- ✓ ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي ، المقتبس. تحقيق: بيدرو شلميتا وآخرون. مدريد: المعهد الإسباني العربي للثقافة وكلية الآداب بالرباط. 1979. القطعة 04.
- ✓ ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس. تحقيق: عبد الرحمن علي الحججي. بيروت: دار الثقافة. 1965. القطعة 05.
- ✓ الحميري، محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: مكتبة لبنان. ط2، 1984.
- ✓ الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد ، كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء: دار الكتاب. ط1، 1997. ج1.

✓ ابن أبي الزرع، أبو الحسن علي الفاسي ، الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور. الرباط: المطبعة الملكية، ط2، 1420هـ/1999م.

✓ ابن كردبوس، أبو مروان عبد الملك التوزري، تاريخ الأندلس (الإكتفاء في تاريخ الخلفاء) مدريد: المعهد المصري للدراسات الإسلامية. سنة 56-1966. مج 13.

✓ ابن سعيد، المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: د. شوقي ضيف. ط2، القاهرة: دار المعارف، 1963. ج1.

✓ ابن عذاري، المراكشي، البيان المغرب في أخبار المغرب. بيروت: مكتبة صادر، د.ت، ج2، ص313.

✓ ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي ، المقتبس. تحقيق: بيدرو شلميتا وآخرون. مدريد: المعهد الإسباني العربي للثقافة وكلية الآداب بالرباط. 1979. القطعة 04.

✓ المقرئ، أحمد بن محمد التلمساني ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، (1408هـ/1988م). ج01.

✓ ابن خلدون، عبد الرحمن أبو زيد ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1992، ج4، ص171.

المراجع:

✓ عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي (من الفتح حتى سقوط غرناطة)، دمشق، بيروت: دار القلم، المنارة. ط3، 1407هـ/1987م.

الهوامش:

(1) عبد الرحمن علي، الحجي، التاريخ الأندلسي (من الفتح حتى سقوط غرناطة)، دمشق، بيروت: دار القلم، المنارة. ط3، 1407هـ/1987م، ص302.

- (2) أحمد بن محمد التلمساني، المقرئ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، (1408هـ/1988م). ج 01، ص 366.
- (3) عبد الرحمن أبو زيد ، بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1992، ج 4، ص 171.
- (4) أبو عبيد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، ابن الأبار، الحلة السيرة. تحقيق: حسين مؤنس. القاهرة: دار المعارف. ط 2، 1985. ج 2، ص 233. ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار المغرب. بيروت: مكتبة صادر، د.ت، ج 2، ص 313.
- (5) يُجهل تاريخ وفاة الحاجب "جعفر بن عبد الرحمن الصقلي" لأن المصادر التاريخية تخلو من ذكر تاريخ محدد لذلك.
- (6) المقرئ، المصدر السابق، ج 1، ص 367.
- (7) كل ما يخص أسماء وأخبار أبناء الناصر، ثم خروجهم من قصر الخلافة، أنظر: أبو مروان حيان بن خلف القرطبي ابن حيان، المقتبس. تحقيق: بيدرو شلميتا وآخرون. مدريد: المعهد الإسباني العربي للثقافة وكلية الآداب بالرباط. 1979. القطعة 04، ص ص 14-20.
- (8) Borrel بن شنير Sunier حاكم إمارة برشلونة بين عامي (343هـ/954م) و(382هـ/992م). ابن حيان، المقتبس، ق 05، ص 20، هامش 1. ابن كردبوس أبو مروان عبد الملك التوزي، تاريخ الأندلس (الإكتفاء في تاريخ الخلفاء) مدريد: المعهد المصري للدراسات الإسلامية. سنة 56-1966. مج 13، ص 64.
- (9) برشلونة Barcelona مدينة على البحر، بينها وبين طركونة خمسون ميلاً، لها ربح وعلوها سور منيع. محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: مكتبة لبنان. ط 2، 1984. ص 86، 87.
- (10) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: د. شوقي ضيف. ط 02، القاهرة: دار المعارف، 1963. ج 1، ص 46.
- (11) كان موسى بن أبي العافية صاحب بلاد تازا، وكبير مكناسة بالمغرب الأقصى على الإطلاق وكان قد خدم مصالة بن حبوس حين قدم المغرب وتعرف إليه وهاداه وقاتل معه في جميع حروبه بالمغرب فحسنت منزلته لديه وولاه بلاد المغرب كلها عدى فاس. أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء: دار الكتاب. ط 1، 1997. ج 1، ص 238. أبو الحسن علي الفاسي ابن أبي الزرع، الأنيس المطرب في روض القُرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور. الرباط: المطبعة الملكية، ط 2، 1420هـ/1999م، ص ص 100-105.

- (12) ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس. تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي. بيروت: دار الثقافة. 1965. القطعة 05، ص138.
- (13) ابن حيان، المقتبس، ق05. ص ص28-30.
- (14) نفسه، ص81.
- (15) ابن حيان، المقتبس، ق05. ص93، 94.
- (16) نفسه ، ص119.
- (17) ابن حيان، المقتبس، ق05، ص120.
- (18) نفسه. ص198.